الثورة
Thawrah Daily

«الثورة» تبحث مع عدد من المفكرين العرب عن أسباب الكبوة.. ومتطلبات النهوض بالأمة

جيل بعد جيل.. والعرب يبحثون ويتساءلون ويحللون ويعللون لأسباب التخلف والركود الذي تعيشه أمتنا العربية... وكلما توسعت الفجوة بين مجتمعاتنا العربية والمجتمعات المتقدمة اتجهت أنظارنا الى النخب السياسية والثقافية للبحث في أذهان هذه النخب في محاولة لمعرفة أبعاد واسباب مشاكلنا ومن ثم معرفة الطرق والاساليب المناسبة للخروج من هذا المأزق.

والاستاذ الدكتور حسن حنفي المدرس بكلية الآداب قسم الفلسفة بجامعة القاهرة أحد أبرز المفكرين العرب الذين شغلهم البحث في الأسباب والمسببات التي أعاقت حركة الوثبة والنهوض في عالمنا العربي والاسلامي واستخلص من هذه المتابعة الكثير من الرؤى والتصورات لمعالجة هذا الواقع..

وهو ما يوضحه في هذا الحوار:

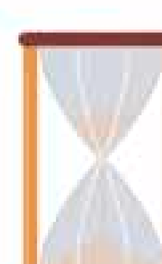

الدكـــتــــور/حــــسن حنفي:
السبب الحقيقي في كبوة العرب.. هو أنهم لم يحددوا علاقتهم بالزمن
يريدون التقدم بلا شروط.. والنهضة بلا تأسيس..

حاوره بالقاهرة: محمد العريقي

شتان بين ماقاله الشوكاني، ومحمد عبده.. وبين مايقال عند بعض الحركات الاسلامية الآن

لاتوجد حضارة قدرت الحضارات الأخرى.. مثل الحضارة الاسلامية..

اسرائيل أكبر كيان طائفي وعرقي وإرهابي في المنطقة.

الشباب لايدري ماذا يفعل.. لأن المجتمع لم يقدم له رسالة أو قضية..

فجوة التخلف

● لم يعد أحد ينكر بأن هناك فجوة كبيرة بين مجتمعاتنا العربية والعالم المتقدم وهذه الفجوة تلخص كل مظاهر التخلف.. فهل الأسباب سياسية أم ثقافية، أم طبيعية.. أم ماذا؟

– السبب الرئيسي ليس في التخلف العربي.. لأننا لانعني ماذا التخلف.. السبب الرئيسي في الكبوات المستمرة التي طرأت على النهضة العربية المعاصرة منذ القرن التاسع عشر خاصة في مصر محمد علي ثم انهارت دولة محمد علي.. قامت بعدها دولة ليبرالية ثم انهارت.. ثم قام الضباط الأحرار بدولتين ثم انهارت.. والآن لاندري ماذا نفعل.. وبالتالي لا أسمي ذلك تخلفاً بل النفس القصير.. على الأقل في الغرب هناك تراكم من عصر الإحياء في القرن الرابع عشر الى الاصلاح الديني في الخامس عشر الى النهضة في السادس عشر الى العقلانية في السابع عشر الى التنوير في الثامن عشر الى النهضة الصناعية في التاسع عشر.. لكن نحن يبدو أن صاروخنا لايخترق حجب الفضاء بما فيه الكفاية يقع مجرد أن ينطلق ونعود باستمرار الى نقطة الصفر..

والسبب الحقيقي في رأيي في الكبوة التي تحدث للعرب.. هو أن العرب لايعرفون في أي لحظة من التاريخ هم يعيشون والتاريخ أي الزمن.. لايعرفون علاقاتهم بالماضي ولا بالحاضر وبالمستقبل.. يحنون الى الماضي.. فإذا كنت اسلامياً تحن الى الخلافة الراشدة.. واذا كنت ناصرياً تحن الى الخمسينيات والستينيات.. وإذا كنت ليبرالياً تحن الى العشرينيات كما في مصر.. واذا كنت ماركسياً تحن الى ثورة ١٧ في روسيا والى المعسكر الاشتراكي.. فهناك حنين للماضي نظراً لازمة الحاضر.. وبعض العلمانيين يستبقون الى المستقبل يريدون أن يجعلوا العالم العربي علمي نهضوي.. ولكن أين من كل ذلك.. وهناك عجز للتعامل مع الحاضر إما نقع في أحضان السلطة. فنكون في رضا السلطات أو نعارض السلطة فنكوّن شهداء أو ننزل تحت الأرض فنكوّن حركات سرية.. أو نهاجر خارج البلاد ونعيش في كندا أو استراليا والغرب وأمريكا أو نصاب بالسكتة القلبية من الغم والهم والكمد كما يحدث لبعض الشعراء والمفكرين.

ولذلك أعود وأقول أن السبب الحقيقي في كبوة العرب هو أنهم لم يحددوا علاقتهم بالزمن.. لذلك كتبت كتابي الأخير «حصار الزمن» بثلاثة أجزاء أشخص فيه موقف العرب من الماضي والحاضر والمستقبل ومن الأسباب الحقيقية أيضاً هو أننا لدينا روح تعيش في عصر وبدن يعيش في عصر آخر.

الروح لاتزال تعيش في عصر الانتصار عندما كان لدينا الرواد من العلماء في الرياضيات والعلوم والعمران ونحن الآن نعيش في زمن الانكسار والهزيمة الى آخره..

فنقرر ثقافة الانتصار في زمن الهزيمة.. ففي عدم توافق بين الروح والبدن.. بين المثل والواقع.. وبالتالي لو استطاع العرب أن يجددوا الروح وأن يغيروا الثقافة وأن يعيدوا بناء الموروث الثقافي بما يتفق مع التحديات الرئيسية للعصر هنا ربما- مانسميه التخلف- يصبح بداية وضع أسس للنهضة.. وشروطاً للتقدم نحن نريد التقدم بلا شروط ونريد النهضة بلا تأسيس... وبالتالي نزرع أحياناً أشياء دون أن نمهد لها الطريق.

صحيح أننا أقمنا عدة صروح ليبرالية وقومية واشتراكية... ولكن في النهاية نظراً لعدم التأسيس لعدم بناء الثقافة الوطنية نظراً لأن الجماهير لم تنجذب لأفكار النخبة... لأن كل هذه الأيديولوجيات حملتها النخبة، لأن الجماهير كانت لاتزال ترزح في اطار من الموروث للثقافة القديمة المحافظة التي تدعو الى الطاعة والتوكل والتقليد..

بالرغم من وجود حركات إصلاحية عند الشوكاني وعند غيره من أجل الاجتهاد والتقريب.. لكن ظلت حركات منعزلة... والآن انظر ماذا كان يقال في الاصلاح... وماذا يقال الآن.

شتان بين ماكان يقوله الأفغاني ومحمد عبده والشوكاني.. وبين مايقال الآن عند بعض الحركات الاسلامية...

فالآن نتائجنا غير مقدماتنا.. ونهاياتنا غير بداياتنا هذا الذي أسميه كبوة العرب.. ليس التخلف بالموارد فعندنا النفط وعندنا المواد الأولوية وعندنا العقول البشرية وعندنا الأسواق... كل مابحثت عن مقومات للنهضة الاقتصادية موجودة. وليس في بناء المجتمعات... فلدينا في المجتمعات العربية مدن وعمران وحداثة وحتى في الخليج والصحراء الى آخره..

إنما السبب الحقيقي في التخلف هو الذهن هو العقل.. هو كيف نفكر؟

فنحن نفكر بطريقة القدماء.. ونحن أمام تحديات معاصرة تستلزم نماذج وطرقاً وفكراً جديداً..

الانتماء والهوية

● كما فهمت من طرحك أن كبوة العرب نتجت أيضاً عن اضطراب في الانتماء والهوية.. هل تعتقد أن هذا الوضع سيجر نفسه على جيل الشباب الذين هم ثروة الحاضر والمستقبل؟

– الشباب معذور في حقيقة الأمر.. فالساحة كما تعرفها الآن فيها نظم سياسية واقعة بين المطرقة والسندان.. بين النظام العالمي لاتستطيع كيفية التعامل معه... وبين شعوب تتوق للحرية والديمقراطية.. وبالتالي الشاب لايدري ماذا يفعل.. يتعلم ولايدري ماذا يتعلم ولماذا ذهب الى الجامعة وماذا يتعلم فيها... هو يتخرج ويحصل على شهادة ولايجد فرصاً للعمل.. وينضم الى سوق العاطلين... ويسمع عن فساد ويسمع عن الغنى الفاحش عند بعض الطبقات والفقر في طبقات أخرى.. حتى الهجرة الى بلاد النفط الذي يعتقد أن بها فرص عمل اصبحت صعبة.. والهجرة حتى الى أوروبا اصبحت محدودة نظراً لاشكالات الهجرة وقيودها في الخارج، فلم يعد هناك طريق أمام الشباب الا التشاؤم.. أو الاحساس أن العصر ليس عصره والزمان ليس زمانه... ولذلك يلجأ البعض الى الهروب الى المخدرات أو الجماعات المتطرفة.. لأن بعض هذه الجماعات توهم الشباب العاطل الذي لاينتمي وتقول له «أنت من لاشيء ستصبح كل شيء»..

ومن إنسان عاطل مجهول الى أن تصبح أميراً للعالم وقائداً للأمة وتعطي هذا الأحساس بالأمل الواهم والأمل الخادع..

فالشباب في حقيقة الأمر يشعر أنه ليس هناك من يفهمه ... فيظهر وكأنه ليس لديه رؤية أو حاضر أو مستقبل ولايوجد حوار كاف بين الأجيال القديمة والجديدة والمتوسطة ولم يعطه التعليم رؤية لرسالة أو لهدف يسمع الشباب من الجيل الماضي أنه مر بعصر قومي وقبله بعصر ليبرالي وعندما يريد يشخص في أي عصر يعيش لايعرف... هل نحن اسلاميون.. هل نحن قوميون.. هل نحن قطريون.. هل نحن وحدويون.. هل نحن عروبيون.. ويرى مظاهر التشتت والتفتت في كل مكان... وهناك من يخطط لنا لنكون دويلات فسيفسائية بين عرب وأكراد وسنّة، وشيعة ومسلمين ومسيحيين... حتى تصبح اسرائيل هي أكبر كيان طائفي في المنطقة.. دولة يهودية قوية.. وبالتالي الشباب معذور لأنه لم يناضل كما ناضلنا نحن في الجيل القديم في عصر ضد الإقطاع والاستعمار وفي العصر القومي ضد الرأسمالية.. الى آخره..

الآن يأتي ولايجد له بناء نظرياً ولابناء أيديولوجياً.. ولا اختياراً سياسياً.. وحياته المادية متعثرة.. وبالتالي الشباب لايدري ماذا يفعل.. لأن المجتمع لم يقدم له رسالة أو قضية.. ولم تقدم له الدولة نموذجاً يسترشد به وبالتالي ترك للمصادفة.. والعبث.. فإذا كان غنياً فله من الحظ والغنى وإن كان فقيراً يصير مطحوناً بالفقر والقهر... والكل يأمل أن يأتي الفرج القريب..

الاصلاحات

● كيف تقرأ مايطرح في مسألة الاصلاحات ومحاربة الإرهاب.. وكيف تعامل العرب مع هذه المفاهيم؟

– الاصلاحات كلمة حق أُريد بها باطل.. فقد طرح على العرب جدول أعمال براق من حيث الألفاظ ولكنه يخدم الامبراطورية الأمريكية الجديدة القائمة على الهيمنة..

فمثلاً يقال لنا نحن العرب .. علينا بالتحول الديمقراطي، علينا بالصلاح، ويعنون بالاصلاح والديمقراطية ليس حرية الشعوب.. ولكن يعنون النشاط الاقتصادي والسوق وحرية الاستيراد والتصدير وتخلي الدولة عن شخصيتها الوطنية وعن الرقابة ويطالبونها برفع الحواجز الجمركية والخضوع لقوانين الربح والمنافسة الى غيره.. فالتحرر الاقتصادي هو من أجل العولمة وليس من أجل السوق وليس من أجل الشعوب..

فقد كانت أمريكا أكبر مدعم لكل النظم الديكتاتورية في العالم العربي وكانت تقف ضد الذين ينادون بالاصلاح... فإذا بها تظهر أنها تنادي للاصلاح والحرية.

فمسألة حقوق الانسان.. نحن مع حقوق الانسان ولا أحد يقبل أن يظل الانسان في السجن دون ذنب.. لكن أين حقوق الشعوب.. الغرب يزهو أنه وضع الاعلان العالمي لحقوق الانسان مرتين.. مرة بعد الثورة الفرنسية ومرة بعد عام ١٩٤٥م ونحن كعرب اهتممنا بحقوق الشعوب، فتأكيداً وصياغة لحركة التحرر الوطني في العالم الثالث كله وضعنا في الجزائر سنة ١٩٧٧م الاعلان العالمي لحقوق الشعوب حق كل شعب في تقرير المصير، أين تطبيق كل تلك الوثائق؟

فحقوق الانسان هو هم فردي لا أحد يعيب عليه شيئاً لكن ليس من المعقول أن أدافع عن الفرد ثم نبتلع الجماعة والشعوب.. والتراث العربي الاسلامي اهتم بموضوع المجتمع المدني.. كان هناك نظام الحسبة في الاسلام والمحتسب والرقابة والدين النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. كل ذلك ادوات من أجل الرقابة الاجتماعية.. الخ.

لكن هم يعنون بالمجتمع المدني الذي يقف في مواجهة الدولة وبالتالي المجتمع المدني هو البديل عن الدولة.. لأن العولمة ترفض وجود دولة وطنية مستقلة وقرار وطني مستقل، وبالتالي المجتمع المدني في الظاهر براق لكن المقصود منه تفتيت الدولة وضياع الدولة خاصة في الدول ذات البعد التاريخي الحضاري وكأن المجتمع المدني لايأتي إلا على أنقاض الدولة.

مع أنه لاتعارض بين الدولة والمجتمع الوطني المستقل وبالنسبة لحقوق المرأة.. هناك مفاهيم قد يكون من المفيد النظر فيها ولكن هذا أيضاً من مهمة الفقهاء لكن ليس أن المرأة لها مشكلة.. فالمشاكل لاتقاس بالجنس وبالنوع.. هذه قضية امرأة وهذه قضية رجل وهذه قضية طفل وفي مجتمع لايزال مفهوم المواطن غير واضح..

فأن يقال أن المرأة لها مشكلة ومشكلتها هو الرجل فهذا شق للنضال الوطني باسم المواطنة ضد القهر والتبعية الى آخره.

وموضوع الإدارة العليا... يقول الغرب أنتم ياعرب عندكم فساد.. وسوء إدارة.. ولذا لابد من تصليح الادارة العليا... نرسل لكم خبراء وموظفين من البنك الدولي من صندوق النقد والأمم المتحدة لإدارة شئونكم.. وكأن الدول الوطنية تدار بموظفين دوليين الى آخره هذا الذي يسمى مفهوم الادارة العليا.. كبديل عن مفهوم الدولة الوطنية أيضاً.

وعلى أية حال هذا جدول أعمال خارجي أو مايطلقون عليه نهاية التاريخ صراع الحضارات.. أنا أشعر أن التاريخ يبدأ بالحركات الاصلاحية والتحرر.. وأن التاريخ لايزال أمامي وليس ورائي، لم أر في حياتي صراع الحضارات.. أنا اعرف أن هناك حوار الثقافات لاتوجد حضارة عظمت حضارات اليونان والرومان والهند وفارس كما فعلنا نحن في الحضارة الاسلامية في حين أن الغرب هو الذي مارس صراع الحضارات بالقضاء على اللغات الافريقية.. الآن افريقيا أصبحت انجلوفونية أو فرنكفونية والقضاء على كل اللغات في أمريكا اللاتينية وحلت محلها اللغات الانجليزية والفرنسية والأسبانية، وكذلك في جنوب افريقيا والهند يتحدثون الانجليزية.. فالغرب هو الذي مارس أبشع انواع صدام الحضارات ثم يعطي الآن ذلك على أنه اعلان لحرب عالمية ثالثة كما يقول المحافظون الجدد، ذلك جدول الاعمال المفروض علينا... إذاً أين جدول اعمالنا.. لا أحد يذكره..

لماذا لايقفون الى جانب نضال الشعب الفلسطيني وغيره من حركات التحرر في العالم.. لماذا لايقفون الى جانب قضايا التنمية.

فالعالم العربي يمكن أن يكون له جدول اعمال.. لكن لسنا مهتمين به وانما الذي يروج هو لجدول اعمال خارجي ونحن نلتقطه دون وعي..

تشويه الاسلام

يتعرض الاسلام للتشويه في الخارج.. كيف يمكن مواجهة ذلك وكيف نحمي الاسلام من افكار التعصب والتطرف الهدامة؟

– في الأقطار التي تتواجد فيها الحركات الاسلامية الشرعية المعترف بها كجزء من البنية الثقافية والبناء السياسي تجد هذه المخاطر اقل.. مثل اليمن، والمغرب، والاردن، والكويت ولبنان.. في بعض الاقطار الاخرى الحركات الاسلامية غير مسموح بها، نظراً لثأر قديم أو لأن النظام يشعر أن الحركة الاسلامية تمثل تحدياً ومنافساً خطيراً للنظام السياسي.. لأنها قد يكون لها بعض الأغلبية الشعبية.. وممارسة العنف تنشأ نشأة طبيعية عندما لاتكون هناك شرعية، فمثلاً يتم إلقاء قنبلة في ميدان عام للفت الانظار وحتى يتم في اليوم الثاني نشر أخبارها على الصفحات الأولى في الجرائد، وكأنها حركة اسلامية.. وأصبح الارهاب وسيلة للإعلان عن بعض التيارات التي تدعي أنها اسلامية...

أنا في نظري لصق العنف أو الارهاب بالاسلام هذا يقصد به غير المنطوق.. وإنما يقصدون اظهار ان الاسلام بطبيعته ارهابي دون تحليل الظروف التي ينشأ فيها العنف.

مايمارسه شارون هو عنف باسم الدولة وهناك خلط بين عنف الارهاب والمقاومة الشرعية..

هناك من الغضب العام في الشارع العربي بسبب الهزائم المتكررة لعدم القدرة للتعامل مع النظام العالمي الجديد وبالتالي هناك شحنة من الغضب.. لايدري البعض كيف يعبر عنها في حالة عدم وجود صحافة حرة أو تنظيمات حزبية معارضة أو تجمعات مدنية كافية يتم اللجوء الى العنف خاصة أن العنف له ربما بعض الجذور في الاحاديث الضعيفة..

وعلى كل حال فإن الكثير من الثقافات فيها عنف، لماذا يركزون على العنف الاسلامي... فماذا عن العنف في إيرلندا، بين البروستانت والكاثوليك، والعنف في اقليم الباسك.. والعنف والجريمة المنظمة في امريكا.. وماذا عن العنف الذي ترتكبه اسرائيل في فلسطين وعندما يقوم الفلسطينيون بعمليات استشهادية يسمونها ارهاباً... ولكن نظراً لأن المسلمين يقاومون الاحتلال فإنهم يطلقون على ذلك ارهاباً.

هناك صرخة غضب غير مرشدة ضد رموز السلطة والهيمنة في العالم المعاصر.

أنا مثلاً أشعر بنوع من العداء تجاه المنظمات التي لاتتعامل مع الانسان بعدالة ومعايير واحدة.. ولكن ربما ليس لي حيلة أن أُغير ذلك الا بكتابة مقال نقد النظام العالمي الجديد لكن ليس كل الناس يحسنون كتابة المقالات.. هناك بعض الناس الذين مازالوا يريدون تغيير العالم، بالقوة والمثقفين يريدون التغيير باللسان وبعض الخائفين بالقلب... لكن على أية حال العنف يجب ان يدرس كظاهرها سياسية واجتماعية في ظروفها التاريخية وفي مكوناتها الثقافية.

المستقبل

● كيف ترى المستقبل من زاوية الأمل والتفاؤل؟

–نحن قضينا في عشرين عاماً على ظاهرة استغرقت عدة قرون حركات التحرير الوطني في الخمسينيات والستينيات في الوطن العربي استطاعت أن تقضي على ظاهرة الاستعمار، في جيل واحد.. واستقلت الدول.. هذا شيء مهم يدفع الى الأمل.. وثانياً: نحن انشأنا دولاً.. وقمنا بتجارب حديثة- لدينا قدر كبير من المبدعين في العلوم والآداب وغيره.. فنحن لسنا صحراء قاحلة.. لدينا من الابداعات العلمية والفكرية ماتفخر به- العرب والمسلمون يسيطرون على مواقع قيادية في الغرب في شتى أنحاء المعرفة.. التفاؤل إذاً يقوم من منطلق أننا انجزنا شيء.. كالتحرر الوطني، أنجزنا بناء الدول.. انجزنا أيضاً نوعاً من الوعي العربي.

فعندما تذهب من عاصمة عربية الى اخرى تجد نفس السؤال ونفس القضايا.. والتالي هناك وحدة تتخلق من خلال الثقافة والهم السياسي والمعرفي في الوطن العربي يجعل الانسان يأمل بأن ماضاع منا شيئاً فشيئاً لن يعود آلا شيئاً فشيئاً... وأن هناك كثيراً من المياه الجوفية في الوطن العربي تنتظر الاندفاع.. وأن الجسم العربي مخصب الآن وربما نرى ولادة قريبة بنتاً أم ولداً طبيعياً أو بقيصرية... طفلاً سليماً أم مشوهاً.. لكن هناك ولادة قادمة.. وهذا الذي يعطي بعض الأمل للناس بالرغم من ظروف الاحباط واليأس..

هناك جهات في أماكن كثيرة.. واستمرار المقاومة الفلسطينية.. هناك مظاهر من مظاهر الحياة الفعلية لانريد أن نجلد الذات.. ولكن بعض الايجابيات بإمكانية التفاؤل والبناء عليها في المستقبل.

أشواق

عبدالكريم الخميسي

نسيم.. المستقبل.!!

● نريد أن نتجنب – نحن اليمنيين – ميكروب الجحود، وفيروس نكران الجميل ونحافظ على قيمة «الوفاء» لمن يستحقون الوفاء، ويستاهلون التكريم.

● أقول هذا بمناسبة الاشاعة عن «الاعتزال المبكر» لنجمنا الرياضي العالمي «نسيم» الذي ملأ الدنيا وشغل الناس، ورفع أسم اليمن ورايتها عالياً وأصبح مصدر اعتزاز وفخر لليمن بموهبته الفذة، وشجاعته الخارقة، وأخلاقه السامية وقيمه النبيلة.

● «نسيم» الذي شرف اليمن، والعرب والمسلمين بما جسده خلال عصره الذهبي من الالتزام الصارم بالروح الرياضية، والتنافس الشريف، والبعد عن التعالي والغرور والحرص على التواضع، والفن، واحترام الخصوم.

● «نسيم» الذي استولى على قلوب «المنصفين» بمسلكيته «المثلى» داخل الحلبة وخارجها، فقد استطاع أن يجسد القدوة في إنتمائه الديني، وولائه الوطني، وعلاقته الأسرية، رغم الضغوط «العنصرية» التي تجاوزها ببراعة.

● هذا (النسيم اليماني) أصبح اليوم مجرد خبر صغير في زاوية خافتة لا تُرى بالعين المجردة، مع أن اعتزاله جاء في الوقت المناسب .. لم يتعرض لضربة قاضية، ولم يشهد هزيمة قاسية، ولم يخرج بعاهة مستديمة، وسوف يصبح «نسيم المستقبل» امتداداً حياً «لنسيم الماضي» ويدخل تجربة جديدة من النجومية «في وطنه» كبطل من أبطال الاستثمار الصناعي والزراعي بنفس الروح .. وبنفس الحماس!!

إضافة:
شكراً يانجوم المنتخب .. والله وربحنا .. يارابح..

ص. ب: ٤٨٤١ صنعاء
alkhmisy@hotmail.com

بعيدا عن هموم السياسة

محمد ولد الشيخ*

■.. الاحداث الاليمة التي تمر بها الامة وما تشهده من عمليات قتل همجية اصبحت امورا مألوفة للقارئ والمشاهد حتى غدا الحديث عنها إعادة لفيلم مكرر ولذلك فإن من المهم ان يروح الشخص الذي يتناول القضايا السياسية عن نفسه وعن القارئ من حين لآخر وأجدني بهذه المقدمة الاعتذارية قد حققت هدفي من تحضير القارئ ليعرف ان ما سأتناوله في هذه الزاوية لن يكون موضوعا عراقيا ولا فلسطينيا ولكنه لن يكون موضوع دعابة لأن سخونة الاوضاع ومأساويتها لا يتركان مكانا للهزل، فموضوع اليوم يتعلق بقضية علمية جينية، حيث اوردت وكالات الانباء خبرا طريفا مفاده ان زوجين إيطاليين رزقا بتوأمين ملونين! وحتى لو انتهى الخبر عند هذا الحد فإنه يحمل بعض الطرافة لأن الايطاليين بعيدون عن السمرة والسواد ولكن الخبر الاهم هو ان الولادة حدثت بعد تلقيح صناعي للزوجين نتج عن خطأ بحيث اعطى عمال المستشفى للزوجين اجنة ليست لهما وبعد انقضاء الحمل وولادة الاطفال اتضح الخطأ من خلال البشرة والحمض النووي وهذا الخطأ يصدقه مثل طالما كرره العارفون بشؤون الفقه وهو «ان من تخطى أمرا من الشريعة احتاج اليه»، فالاطباء في الشرق والغرب قد أباحوا لأنفسهم الكثير من الامور واعتبروها من المُسلّمات ومنها التلقيح الصناعي ولكن القدرة الإلهية اثبتت لهم دائما اوجه القصور عندهم سواء من خلال الوقوع في اخطاء قاتلة ناتجة عن محاولات منافية لمقتضى الأشياء كفشل الاستنساخ من حين لآخر وظهور حالات خلقية شاذة ناتجة عنه ولكنهم بدلا من الاعتراف بهذا القصور يواصلون التحدي ولا يعني هذا الحديث انني ضد العلم والتطور والبحث العلمي ولكن من المهم ان يكون هذا البحث وفق ضوابط حتى لا يتحول الى فوضى تتنافى مع كرامة الانسان وعدم التلاعب بأكرم المخلوقات واكثرها تطورا، فهذان الطفلان اللذان ولدا خطأ كتبت عليهما الحياة مع اشخاص غرباء عنهما بسبب خطأ بشري كما ان هذه الام التي حملت تسعة اشهر ستحس بالمرارة بعد اكتشافها ان كل الاماني والاحلام التي تراءت لها ايام الحمل مجرد اوهام لأن ما تحمله في احشائها ليس من لحمها ودمها بل هو لإمرأة اخرى لا تعرف عنها شيئا وهي مجرد وعاء لا أكثر ولا اقل وهذا يدخلنا في مشكلة تحديد من هي الام الحقيقية وهل ستتم المبادلة من جديد الى غير ذلك.

من الاشكالات التي لا حصر لها وكلها ضريبة يدفعها الانسان بسبب تجرئة على الخوض في مجالات عصية عليه ولا نعرف هل نفرح لمثل هذا التطور ام نأسف على ضياع الفطرة وراحة البال والتسليم بقضاء الله وقدره في أمور الانجاب.

* كاتب عربي

alariky@maktoob.com